التفرقة في الدين والعداوة بين أهله

لفضيلة الشيخ عبدالله بن محمد الخليفي
إمام وخطيب المسجد الحرام

أيها المسلم لا يخفى أن دين الإسلام جاء للإخاء والوفاق فكان التفرق للعداء والشقاق واي منكر أعظم من التفرقة في الدين والعداوة بين أهله قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء وقال سبحانه «ولا تكونوا من المشركين من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون» . ليس عجيبا ان يعد التفرق في الدين من اعمال المشركين ، ونحن ندعو الى الخير وهو دين الإسلام امتثالاً لأمر الله تعالى حيث يقول ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك المفلحون . فلا بد من جماعة او جمعية تقوم بهذا الواجب في كل بلدة وكل قرية تعاونهم جميع الأفراد نساء ورجالا ويمدونهم بكل ما يستطيعون وان المسلمين بحمد الله فيهم من الاستعداد لفعل الخير ما يفوق جميع الأمم فلا بد من تنظيم هذا الخير ان الخيرات التي تبذل في سبيل الله من الزكاة والصدقات تكفي بل تغني ولكن اكثرها يذهب لأناس لا يستحقون شيئا ولقد تيسر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في هذا العصر بواسطة الطباعة والصحف والنشرات والرسائل ولا شك ان الصحافة المخلصة من اكبر عون للدعوة الى الخير ولقد امتاز الاسلام على غيره بأن كتابه الكريم محفوظ متفق عليه من المسلمين جميعا وبأنه كما انزل يشهد بهذا كل من بحث من جميع الأمم حتى الأعداء وكذلك السنة فقد تفضل الله بتوثيق رجال مخلصين علماء محققين خدموا هذه الناحية اعظم خدمة وكذلك الفقهاء الأربعة وغيرهم من أئمة الفقه وكذا التفسير والتأريخ والسياسة والاجتماع وفق الله لهذا الدين العظيم رجالا خدموه بتدقيق واخلاص فاقوا جميع رجال الاديان وها هي آثارهم ماثلة شاهدة بفضل الله علينا وعليهم وعلى العالم اجمع حيث انتفع الجميع بعلمهم واقروا بفضلهم ولما كان هذا الدين العظيم آخر الاديان وناسخها فقد عاداه دجالوا الاديان حرقا على زعامتهم عاداه اليهود والمجوس وبعض النصارى وقولنا

بعض لأن كثيرا من فلاسفة اوروبا وامبركا يثنون على الإسلام ويعترفون بفضله على العالم فيجرون المقالات ويؤلفون الأسفار وهذا كثير شائع وقد يتحملون كثيرا من الإيذاء من رجال الكنائس ومن المتعصبين ولا يبالون واول من عادى الإسلام من الدول دولة الرمان وغيهم حينا حطم جبروتهم فاجتمع فلاسفتهم وساستهم فقرروا بأن العرب لم تكن لهم هذه القوة الا بهذا الدين فلا بد من هدمه وذلك بأن يدخل من علمائهم وساستهم رجال يظهرون الإسلام والتقوى ويدسون الدسائس ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون وقد وفق الله سبحانه وتعالى كثيرا من العلماء للبيان والتحذير والفوا فيها المؤلفات وهي في الغالب تنحصر فيما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام «يحمل هذا العلم من كل خلق عدوله ينفون عنه غلو الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» فمنهم الشاطبي الذى سمى كتابه الإعتصام وابن الحاج كتابه المدخل ومن اعظم من الف في البدع شيخ الإسلام بن تيمية وتلميذه بن القيم رحمهما الله فنشر ما الفه هذان المجددان فيه اعظم خدمة للإسلام هذه المؤلفات يبنت الدسائس القديمة التي لم تزل مجهولة عند كثير من العامة واشباه العلماء . اما اليوم فهذه المدارس الاجنبية هي ام الدسائس الدينية والسياسية فاحذروها هذا مجمل ما اتانا من الاعداء الخارجين وعلاجه بنشر ما تقدم ذكره لك أيها القارىء لأن هذه المؤلفات تدعو بالرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله واذا تم هذا فقد تمّ كل شيء . واجتمعت الكلمة والذي يساعد على هذه الخطوة الجبارة اي الرجوع الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من جميع الفرق هو الانتباه الى الدسائس التي دسها اعداء الدين والكثير من علماء السوء واخيرا اقول الواجب على كل فرقة ان تقضي على الغلو بالرجوع الى الكتاب والسنة الصحيحة ففيها الضالة المنشودة وانما اختار الله سبحانه نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم للرسالة العامة لما وهبه من الخصائص التي امتاز بها على غيره من الرسل عليهم الصلاة والسلام وانما اختار الله سبحانه اللغة العربية لهذه الرسالة لأنها افصح اللغات وأبينها وأوسعها وقد الف العلماء في فضل اللغة العربية ايضا وسعتها وامتيازها وانما اختار الله هذا الدين الإسلامي للعالمين لما فيه من المزايا التي لا توجد في غيره من الاديان وصلاحيته لكل فرد وكل امة ومنها ان معجزاته عامة تسهل رؤيتها لكل انسان خالدة باقية الى الأبد فمن هذه المعجزات القرآن الكريم الذي تحدى العرب ولم يزل يتحدى العالم ومنها ان المكتشفات العلمية التي كشفها العالم الى الان كشفها بهذه الوسائل الدقيقة والمراصد العظيمة والمكبرات والتحليلات والجهود والتخصصات ولم يكن احد يعلمها قبل قرن واحد قد سبق اليها القرآن الكريم وجاء بعضها في اقوال الرسول الكريم وانما اختار الله العرب لما وهبهم من المزايا التى فطرهم عليها وقد فاقوا بها غيرهم من أمم الارض منها العقل الجبار والفطرة الممتازة والشجاعة والغيرة والكرم والحمية والنجدة وغيرها و ان فلاسفة اوربا يشهدون قال الدكتور « غوستان لوبون » ان المكتبات والمختبرات والآلات لم تكن الا وسائل للبحث والدرس وان قيمتها في الإستفادة فقد يستطيع المرء ان يكون مطلعا على علم السابقين وان يبقى مع ذلك عاجزا عن التفكير الطليق الحر وان يظل لذلك تلميذا غير قادر على الارتقاء الى درجة استاذ ثم قال لوبوث وسيرى القارىء من الاكتشافات التى نذكرها في الفصول الأتية مقدار ما اكتشفه العرب بما لديهم من الوسائل

والآن اقتصر على ذكر المناهج العامة التي استعانوا بها في توجيه ابحاثهم قال : فالعرب بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب العرفان لم يلبثوا ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب ولا تقل ان ما ادركه العرب هو من الحقائق المبتذلة فقد جد علماء القرون الوسطى في اوربا الف سنة قبل ان يبلغوه يقول الاوربيون ان — بيكن — اول من قال بالتجربة والترصد اللذين هما ركنا المباحث العلمية الحديثة ولكن الإنصاف يقضي بأن نعترف بأن الفضل في ذلك للعرب وحدهم وقد أيد هذا الرأي مع ذلك جميع العلماء الذين درسوا مؤلفات العرب ولا سيا العالم الشهير — همبولد — فبعد ان ذكر همبولد ان ما قام على التجربة والترصد هو افضل ما في العلوم قال : ان العرب ارتقوا في علومهم الى هذه الدرجة التي كان يجهلها القدماء كل الجهل وقال مسيو — سيديو — ان من اهم ما اتصفت بعجامعة بغداد منذ البداءة هو روحها العلمية الصحيحة التي كانت سائدة فيها في استخراج المجهول من المعلوم والعلل من المعلومات وفي عدم التسليم بما لا يقوم على التجربة والترصد وقد كان العرب في القرن التاسع من الميلاد حائزين لهذا المنهج المجدي الذي اقتبسه علماء اوربا بعد زمن طويل فقد كان عاملا في اكتشافاتهم المفيدة لأن منهاج العرب قائم على التجربة والترصد واما درس الكتب والإقتصار على تكرار رأي المعلم فما سارت عليه اوربة في القرون الوسطى والفرق بين المنهجين واضح ولا يمكن تقدير قيمة العرب العلمية الا باظهار هذا الفرق حقا لقد اختبر العرب مسائل العلم وجربوها وقد كانوا اول من ادرك اهمية هذا المنهج في العالم وقد كانوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا .

وقال « دولامبر » في كتاب تأريخ علم الفلك اذا عددت بين الإغريق راصدين او ثلاث ثم نظرت الى العرب امكنك ان ترى بينهم عددا كبيرا من الرصاد واما في الكيمياء فلا تجد عالما يونانيا استند في مباحثه الى التجربة مع أنك تعد مئات من علماء العرب الذين قامت مباحثهم الكيمياوية على التجربة وقد منح اعتماد العرب على التجربة في مؤلفاتهم دقة وابداعا لا ينتظر مثلها من رجل تعود درس الحوادث في الكتب ولم يبتعد العرب عن الإبداع الا في الفلسفة التي كان يتعذر قيامها على الترصد والتجربة وقد نشأ عن منهاج العرب التجريبي الخاص بهم وصولهم الى اكتشافات مهمة وسوف ترى من مباحثنا في اعمال العرب العلمية انهم انجزوا في ثلاثة او اربعة قرون من الإكتشافات ما يزيد على ما حققه الإغريق في زمن أطول من ذلك كثيرا وقد حدث ان انتقل تراث الإغريق العلمي الى البيزنطيين الذين لم يستفيدوا منذ زمن طويل فلما آل الى العرب حولوه الى غير ما كان عليه فتلقاه ورثتهم مخلوقا خلقا آخر والحقيقة انه لا يشك عامل منصف رأى العرب ورأى آثار نهضتهم العلمية والسياسية والعمرانية وما الى ذلك من اركان الحضارة التي انشاوها لا يشك بأن العرب افضل شعوب الأرض فطرة وعقلا واخلاقا وان الإسلام هو الذي دفعهم الى هذه الحضارة التي قاموا بها فأدهشوا العالم واقر المنصفون بأنها فاقت جميع الحضارات السابقة واللاحقة والحمد لله رب العالمين وهو حسبنا ونعم الوكيل وصلى الله وسلم على الهادي البشير نبينا محمد وآله وصحابته أجمعين .

عبدالله بن محمد الخليفي
امام وخطيب المسجد الحرام